أقسام علم البلاغة العربية

يتناول علم البلاغة ثلاثة أقسام هي:

1- علم البيان: هو أحد الفنون البلاغية، وقد اكتسب أهميته منها لما لها من مكانة عالية في النفوس، فهي ترشد الذوق الفني وتكشف عما يتضمنه النص الأدبي من إمكانيات وقدرات، وإذا كان علم المعاني يبحث في تركيب الكلام، فإنّ البيان يبحث في الطرق التي يستطيع المتكلم من خلالها ان يصوغ كلامه، والتي غالبا ما تكون غير مباشرة وتحتاج من المتلقي نباهة وثقافة من أجل الوصول إلى القصد والكشف عما في التعبير من ملامح جمالية.

قال تعالى عزّ وجلّ: ﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ، عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ، عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ**﴾ [الرحمن: 04]، فالبيان نعمة من نعم الله تعالى أنعم بها على بني آدم؛ حيث كرمهم وحملهم في البر و البحر ورزقهم من الطيبات وفضله على الكثير من خلقه، فتميّز عن كثير من الخلق وصار ناطقا مبينا يستطيع أن يعبر عما يجول بخاطره من المعاني وأن يوصلها إلى غيره ويتلقاها، فيتم التفاهم وتتحقق السعادة بين البشرية.

البيان: في اللغة معناه الظهور والوضوح والإفصاح، وما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، يقال: بان الشيء بيانًا: اتّضح، فهو بيّن، وابنته: أوضحته، واستبان الشيء: ظهر، والتبيّن: الإيضاح، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: 04]، وقول الشاعر ابن ذريح:

للحُـبِّ آيــات تـبيّن للفـتى ..... شحوبا وتعرى من يديه الأشاحم

أي تظهر له شحوبًا...والبيّن من الرجال: السمح اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام، وفلان أبين من فلان: أي أفصح منه وأوضح كلامًا.

أما **البيان في الاصطلاح** فهو العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، فهو يبحث في المعاني المجازية التي تخرج عن المعنى اللغوي الأصلي.

فالمراد بالعلم مجموعة القواعد والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، والمراد بالمعنى الواحد هو المعنى الذي يعبر عنه المتكلم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال، كمعنى الشجاعة والكرم وغير ذلك، والمراد باختلاف الطرق التي يؤدي بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه، أن يكون بعضها واضحا وبعضها أشد وضوحا؛ لأنّ خفاء المعنى معيب عند علماء البيان إلا إذا أريد بالخفاء الدقة في أداء المعنى، بعيدا عن اللبس والاشكال فلا غبار على إرادة ذلك.

وقد تحدث كثير من العلماء عن مفهوم البيان وآلاته وأنواع الدلالة على المعاني وعما يحتاج البياني إلى تحصيله من ألوان المعرفة وصنوف الثقافة، من ذلك قول الجاحظ (ت255هـ): "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان، ذلك البيان، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان. ويجعل عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) البيان من مقتضيات النظم، فهو به يكون وعنه يحدث، وقد أدرج علوم البلاغة الثلاثة تحت باب واحد وهو البيان بمعناه الواسع.

ويقال أنّ أول من دوّن مسائل هذا العلم –البيان– هو "أبو عبدة معمر بن المثنى (ت211هـ) في كتابه "مجاز القرآن"، فهو بحث في تأويل بعض الآيات القرآنية، ووردت في كتابه هذا إشارات إلى بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك، وتبعه الجاحظ ثم ابن المعتز (ت296هـ)، ثم قدامة بن جعفر (ت337هـ)، ثم أبو هلال العسكري (ت395هـ)، ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساس هذا العلم وأكمل بنياته ورتب قواعده بشكل دقيق، وتبعه في ذلك من جاء بعده.

فائدته: من فوائده الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجن والإنس في محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله.

وأدوات علم البيان التي ينبغي على البياني أن يتسلح بها، لافتقاره واحتياجه إليها، يحصرها "ابن الأثير" (ت 637هـ) في الأمور التالية:

1- حفظ القرآن الكريم وتفهم معانيه، والتدرب على استعمال أساليبه وتراكيبه في الكلام.

2- حفظ ما يحتاج إليه من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخباره والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال.

3- معرفة ما يحتاج إليه من اللغة، والتمييز بين الفصيح المستعمل من مفرداتها وبين الوحشي الغريب المستكره المعيب.

4- معرفة علم العربية من نحو وصرف.

5- معرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وعاداتهم.

6- الاطلاع على مؤلفات المتقدمين من أرباب صناعة البيان.

7- ما يختص بالناظم دون الناثر، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر.

ومن أهم موضوعات علم البيان: الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ...

2- علم المعاني: هو العلم الذي تعرف به أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له. وموضوعه اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال.

ومن فوائده معرفة إعجاز القران الكريم والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة من منثور كلام العرب ومنظومه. وواضعة الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ.

ومن أهم موضوعاته: الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والوصل والفصل...

3- علم البديع: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى. ويبحث هذا العلم في المحسنات البديعية التي تزيد الكلام جمالاً و تأثيراً.

يقول "الخطيب القزويني" (ت739هـ) هو: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ".

وواضعه "عبد الله بن المعتز"، ثم اقتفى أثره "قدامة بن جعفر" فزاد عليه، ثم ألف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، وصفي الدين الحلي (ت752هـ)، وابن حجة الحموي (ت 837هـ)، وغيرهم ممن زادوا في أنواعه ونظموا قصائد تعرف بالبديعيات.

موضوعاته: يكاد يتفق البلاغيون على تقسيم المحسنات البديعية إلى: محسنات لفظية، ومحسنات معنوية.

وممن سلك هذا الاتجاه التّخصصي الخطيب القزويني (ت734هـ) في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة"؛ حيث أفرد القسم الثالث لعلم البديع الذي تضمن عنده:

1- المحسنات المعنوية: هي التي يكون التحسين فبها راجعا إلى المعنى بشكل أساسي، وإن أدى إلى تحسين اللفظ أحيانا في الوقت نفسه، والمحسنات المعنوية كثيرة، من بينها: الطباق، والمقابلة، والمشاكلة، والاستطراد، والمزاوجة، والتورية، ومراعاة النظير...

2- المحسنات اللفظية: هي التي يكون التحسين فيها واقعا على اللفظ بشكل أساسي ويأتي تبعا لتحسين المعنى، وأنّ الحسن فيها لا يكون في اللفظ في ذاته دون النظر إلى المعنى، ومن بين المحسنات اللفظية الجناس، والسجع، والموازنة، والازدواج، والموازنة، والتشريع، والتطريز...